



رسالة أخرجت الناس من المظلمات إلى النور

هكذا كان العالم قبل بعثة النبي الكريم

كانت الدنيا قبل بعثة سيدنا رسول الله تتخبط في ظلمات الجهل والضلال وتترنح في مهاوي الهلاك والمضياع وكانت المعتقدات قدع لت فيها معالم المادية وتعاليت تعاليمها على أفهام البرية ونصبر وساؤها أنفسهم أرباباً من دون الله يحكمون بأهوائهم أنفاس الناس وممالك العالم إذ ذلك زاخرة بالفوضى والمتأخر والدامية ممزقة بالظلم والاضطهاد والطبقة.. ولم يختلف واقع العرب عن واقع هذه الممالك كثيراً بل كان امتداداً لتلك المأساة الحضارية على المستويات كافة فقد كانت عقيدة العرب شركاً ووثنية وفكرهم وهماً وخرافة يستقسمون بالأزلام ويتحاكمون إلى الكهنة والعرافين ويعتقدون في التشاؤم والعدوى والمثأر والهامة ويدينون بالمعصية والتبعية والتقليد الأعمى. وكانت عبادة الأصنام علامة ديانتهم البارزة يحجون إليها ويعكفون عليها وينذرون لها ويطوفون حولها مظنة أنها تقربهم إلى الله زلفى.

*المغدر والخيانة.. والبقاء للأقوى

وكانت سياستهم البطش والنزال وديدنهم المغدر والخيانة لابقاء بينهم لما للأقوى ولما حُكم فيهم لما للمُستبد الأعزى يُقيمون المعارك على تافه الأسباب تحمر أن وضاها حمية لا للحق حسنتهم للسلادة وسيئتهم للعبيد أرحامهم مقلعة وأوصالهم مُفككة يئد الوالد ابنته خشية العار ويقتل ولده مخافة الفقر والإملاق الحقوق بينهم ضائعة والفواحش فيهم سائدة لا يرون المرأة إلا سلعة تشتري أو متاعاً يورث أوقات سلامهم قصيرة وحقبات حروبهم موحشة طويلة. فبعث الله سبحانه وتعالى إلى العالمين رسولاً يعرف الناس نسبهم وصدقهم وأمانته وعفافه وقد كانوا أهل جاهلية فكشف به الغمة لهم دعاهم إلى الله ليوجده ويعبدوه ويتقوه ويخلصوا ما كانوا يعبدونه هم وأباؤهم من دونه من الحجارة والأوثان. غير أن المهائد البشير وأمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ورغبهم في صدق الحديث وقول الحق وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار وأدب الحوار والميثاق والعمل والإنصاف والرفق والمسامحة والمروعة والحياء والأخوة والمشورى والعزيمة.

الرسول صلى الله عليه وسلم حثهم كذلك قضاء حوائج الناس وإكرام بني الإنسان وتحرير العبيد والإحسان إلى الموالدين واليتيم والمسكين وابن السبيل واحترام المرأة ومعاشرة الزوجة بالمعروف وقرى المضيف وكتمان السر وكظم الغيظ وصون العهد والوفاء بالوعد وحسن الظن وحفظ الأيمان والتحدث بالنعمة ونشر الخير بحكمة ورحمة وحثهم على كل فضيلة ومعروف. *الشرك بالله وقتل النفس

في المقابل نهاهم عن الشرك بالله وقتل النفس وقول الزور ومخامرة العقل وإتيان الفواحش وأكل الربا وأكل مال اليتيم وأخذ

الرَّشوة وقذف المَحْصَنات والمُفَارار يوم الزَّحْف وتطْفِيف الكَيْل وغشَّ المعاملة والسَّلب والسَّرقة وقَطْع المطَرِيق وترويع الآمنين والسَّحر والمُظْلَم والمُخَيَّات وإهدار الحقوق وتشبُّه الرجال بالنِّساء والنِّساء بالرجال ونشوز المرأة على زوجها □

وايضاً كان من حزمة الممنوعات التي حضَّ النبي عليّ تَجَنُّبها تَتَبُّع عورات النَّاسِ والممكُر والمُخَادعة والاستطالة على المخلوق والمُعْجَب بالنِّفس والمتفاخر بالأنساب والمن واللعن ونهر السائل والمهمز والملمز والغريبة والنميمة والافتراء والبُهتان والإفك وحذرهم كل منكر من الأخلاق والآفعال والآقوال. □

وبالغ النبي عن ربه سبحانه أن النَّاسَ مُجَازُونَ على أعمالهم في الدُّنيا من جنسها إنَّ خيراً فخييراً وإنَّ شراً فشرّاً لا تستوي الحسنة ولما السيئة ولما تَزُرُّ وازرةٌ وزرٌ أخرى ثم هم في الآخرة إلى ربهم صائرون وبين يديه موقوفون مسئولون لن تغني عنهم أموالهم ولما أولادهم ولما أنسابهم من الله شيئاً أنفسهم بما كسبت رهيبة وأعمالهم وإن صُغرت معروضة موزونة ليس لإنسان منها ما سعى.

فمن أحسن تَنَعُّم أبداً في جنة عرضها كعرض السماوات والأرض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ومن أساء ساءت عاقبته في نارٍ أعدّها الله تعالى للعصاة المَكْذِبِينَ.

وكانت شريعته رحمةً كُلُّهَا خيراً كُلُّهَا تُنْظَمُ علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبالنَّاسِ وتُصْلِحُ الضَّارِدَ والأسرة والأمة حيثما وُجِدَ الشَّرْعُ وَجِدَتْ مَصَالِحُ الْعِبَادِ لَهَا من الخصائص عَشْر: ربَّانية المصدر شاملة الأحكام واقعية التشريع عالمية الرسالة ثابتة الأصول مرنة المعالجة وسطية المنهاج مُيسِّرة التطبيق الجزاء فيها دُنْيَوِيٌّ وأُخْرَوِيٌّ خاتمة.

وكانت شريعة الإسلام تحافظ على كليات خمس: الدين والنفس والعرض والعقل والمال وهي كليات جامعة مانعة تؤكد عظمة الرسالة النبوية التي غيرت وجه التاريخ بشكل كلي منذ نزول الوحي للمرة الأولى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.